المحاضرة الثالثة: الفلسفة الحديثة : المفهوم، النشأة، تعدد المناهج.

1- مفهوم الفلسفة الحديثة:

يمكن تعريف الفلسفة الحديثة بأنّها تلك الفلسفة التي بدأت ملامحها بالظهور مع عصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي، وكان ذلك من خلال مجموعة من الفلاسفة الذين كان لهم منظور حداثيٌّ تجاه التفكير الفلسفي، حيث نحَى الفلاسفة الحداثيون مَنحىً مُختلفًا تجاه التفكير المنطقي، ونظرَتْ الفلسفة الحديثة للأحداث الواقعية على أنّها نَتاج لمجموعة من المسببات المنطقية التي أدّت إلى وقوعها، وكان من أهمّ الأسباب التي دعت إلى ذلك ازدهار العديد من العلوم والمعارف في عصر النهضة، ومن أبرزها علم الفيزياء، وعلم الرياضيات، وعلوم الفلك، كما شهد هذا العصر اختراع العديد من الآلات، ومن أبرزها الآلة الطابعة التي ساهمت في توثيق النتاج الفلسفي الحديث.

كما يدخل في تعريف الفلسفة الحديثة وجود العديد من المناهج الفلسفية والتيارات الفكريّة المختلفة، والتي اتّخذها الفلاسفة في العصر الذي ظهرت فيه الملامح الأولية للفسلفة الحديثة وفي العصور التي تلت ذلك، ومن أبرز هذه المناهج الفلسفية المنهج العقلاني الذي ينظر إلى العقل على أنّه أحد أهمّ معايير الحكم على مختلف الأمور والأحداث في الحياة اليومية، بالإضافة إلى المنهج التجريبي الذي يتّجه إلى إدارك الحقائق من خلال الاختبار والتجربة على أرض الواقع، فضلًا عن أهميّة دور الإنسان في الفلسفة الحديثة، فهو الذي يمتلك الحواس والخبرات العملية القادرة على إدراك الحقائق وتمييزها والوصول إلى النتائج المنطقية.

هناك مجموعة من الفلاسفة الذين كان لهم التأثير الأكبر في ظهور مفهوم الفلسفة الحديثة، من خلال تجديد الفلسفة القديمة، وإدخال المنظور العلمي ليصبح جزءًا من المنظور الفلسفي الحديث، ومن أبرز الفلاسفة رينيه ديكارت، فرانسيس بيكون، غاليليو غاليلي، ... ويعد الإنسان محور الحديث الأول في هذا السياق، إذ تحرص كل الحرص على إعلاء الشأن **الإنساني** وقيمته ومكانته في المجتمعات، وقد جاء ذلك على هامشِ الأوضاع العصيبة التي عاشها الإنسان في بداية عهده.

2- نشأة الفلسفة الحديثة:

يعود تاريخ ظهور الفلسفة الحديثة إلى تلك الفترة التاريخية المُعَنونة باسم العصر الحديث، إذ عاش الإنسان في هذه الفترة تحت تأثير الثقافة العقلانية الليبرالية؛ أي المتحررة من القيود الدينية في العصور الوسطى تحديدًا، وقد ساهم انتشار الأجواء

الديمقراطية في ترسيخ جذور العديد من المفاهيم منها التحرر من السلطة والاهتمام بالجانب العلمي، فتمكنت الفلسفة بفضل ما تقدم من الانفصال التام عن اللاهوت وانقضاء عصر الفلسفة المدرسية لتظهر محلها الحقائق العقلية المختلفة تمامًا عن الحقائق الدينية .من الجديرِ بالذكرِ أن مشكلة المعرفة كانت محور اهتمام الفلسفة الحديثة حتى اعتُبِرت القلب النابض لها، فأصبح الاهتمام الأول للذات بعد التحرر التام من السلطة الدينية، وقد توجهت أنظار ديكارت وبيكون في رسم أبعاد هذه الفلسفة وترسيخ جذورها بعيدًا عن الإطار النظري للتفكير والارتكاز على الجانب العقلي، فبذل المؤسسون قصارى جهودهم للوصول إلى وسيلة عقلية مستحدثة في البحث.

3-**عوامل نشأة الفلسفة الحديثة:** تعددت وكثُرت العوامل الكامنة خلف نشأة الفسفة الحديثة، ومنها العوامل التاريخية، إذ ساعدت الظروف التاريخية السائدة على ظهور هذا المصطلح وإنضاجه بصورة ملحوظة، ومن أبرز المواقف التي ساهمت في ذلك هي محاولات الإسبان في استعادة الأندلس من يد المسلمين في نهايات القرن الخامس عشر، فتمكنوا من الاستيلاء على التراث العربي الموجود هناك والتلاعب به .نشأة حركة الكشوف الجغرافية، إذ تمكن في تلك الفترة ماجلان من رفع الستارِ عن رأس الرجاء الصالح واكتشاف الطريق المؤدي إليه، فتمكنت أوروبا من اكتشاف طرق متعددة موصلة إلى الهند ودول شرق آسيا .اتساع نطاق الآفاق الفكرية والفنية والأدبية، فأصبح الفكر الأوروبي عالميًّا بعد أن كان سجين تلك القارة الصغيرة . ازدياد حركات الاستيطان والتجارة العالمية، فساهم في اتساع نطاق الإبداع الإنساني العالمي .ازدهار الروح العلمية الحديثة ونموها بنسبة كبيرة، فاندلعت الثورة العلمية على يد مكتشف النظام الشمسي العالم البولندي كوبرنيقوس.

4- تحديد البدايات:

اختلف المؤرخون حول الفيلسوف الذي يبدأ عنده تاريخ الفلسفة الحديثة، فالبعض، وهم الأكثرية، ينظرون إلى ديكارت على أنه أول فيلسوف محدث، لأنه أول من وضع للتفكير الفلسفي منهجاً يقوده ويوجهه في بحثه والمتمثل في كتابه «مقال عن المنهج» ولأنه بادئ التيار العقلي في الفلسفة الحديثة والذي سوف يكون أحد أهم تياراتها، ولأنه صاحب أول نسق فلسفي متكامل حديث، يضم نظرية في المعرفة وميتافيزيقا وأخلاق، ولأنه وضع الذاتية كمبدأ أول للفلسفة وللنسق الفلسفي، إذ بدأ ديكارت بعد الشك المنهجي بإثبات وجود الذات ومنها استنبط حقيقة العالم ويقين العلوم وأثبت وجود الله وخلود النفس. ويذهب البعض الآخر إلى أن الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون هو الذي افتتح تاريخ الفلسفة الحديثة، لأنه كان صاحب منهج تجريبي يستند على الاستقراء من الوقائع وكان بذلك بداية للتيار التجريبي في

الفكر الحديث والذي استمر من بعده لدى هوبز ولوك وهيوم، ولأنه واضع قانون جديد في التفكير أحله محل المنطق الأرسطي والمتمثل في كتابه الأساسي «الأورجانون الجديد Novum Organum» والذي ظهرت فيه نظرية بيكون في الأوهام الأربعة، حيث جسد سعي الفكر الحديث في التحرر من الآراء المسبقة الموروثة والأفكار الشائعة، وكان يقصد بها الفلسفة الأرسطية، إذ قد استطاع تحرير الفكر الحديث من سلطة فلسفة العصور الوسطى والفلسفة الأرسطية ومكنه من البدء بداية جديدة تماماً غير معتمدة على أي مذهب فلسفي سابق موروث، مما مكن الفلسفة الحديثة من امتلاك استقلال وشخصية متميزة وخصائص جديدة.
لكننا فيما يخص بداية الفلسفة الحديثة لن نأخذ فيلسوفاً واحداً باعتباره نقطة الانطلاق، بل سنأخذ ثلاثة أعلام باعتبارهم يمثلون نقاط انطلاق متعددة ومختلفة، وهم بيكون وديكارت وسبينوزا. والسبب الذي يجعلنا نختار هؤلاء باعتبارهم جميعاً يشكلون بداية الفلسفة الحديثة أن كل واحد منهم قد ظهرت لديه توجهات فكرية استمرت بعده وأخذت شكل تيارات. فبيكون هو مؤسس التيار التجريبي، وديكارت مؤسس التيار العقلي. لكن ماذا عن سبينوزا؟ إنه هو الآخر يشكل بداية خاصة للفلسفة الحديثة، أولاً لأنه أدخل عدداً من الأفكار الفلسفية الجديدة التي سوف يكون لها تأثيرات بالغة على كل الفكر الفلسفي اللاحق له، أهمها نظرته إلى الكون باعتباره مكوناً من جوهر واحد يتخذ صفتين هما الفكر والامتداد، وبذلك نجح في القضاء الثنائيات الديكارتية الشهيرة بينهما، وبين العقل والجسد، والروح والمادة، ولأنه أول من وضع نظرية فلسفية في الفصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية، ذلك الفصل الذي لم يكن موجوداً من قبله ولم يكن يجرؤ أحد على الإفصاح عنه على الرغم من أن هذا الفصل كان متحققاً في الواقع في بعض البلدان الأوروبية وأهمها هولندا وطنه وسويسرا.